ثالثاً : العولمة والنقد الفلسفي

أ. د. عاطف العراقي (*)

إذا أردنا الحديث عن العولمة، فإننا نعتقد بوجود صلة وثيقة بين العولمة من جهة، والنقد الفلسفي من جهة، وخاصة أننا نقصد أساساً من العولمة، الجانب الثقافي منها، أي العولمة الثقافية. هذا بالإضافة إلى أننا من جانبنا ندافع عن العولمة من منظور إيماننا بأن من أبرز خصائص الفكر الفلسفي، خاصية النقد.

فإذا رجعنا إلى تاريخ الفكر الفلسفي منذ نشأته قبل الميلاد، وحتى الآن، فإننا نجد أبرز خصائصه، إنما يتمثل في البعد النقدي أساساً .

ونستطيع أن نطبق خاصية النقد الفلسفي، على العولمة الثقافية، وسنجد أننا نحاول كعرب لابد لنا من السعي نحو نظام ثقافي عربي جديد وهذا لا يعد شيئاً صعباً أو مستحيل التحقيق في ظل العولمة، إذ نجد العديد من الأفكار التي دعا إليها مفكرون كبار في العصر الحديث علي امتداد مساحة العالم العربي من مشرقه إلى مغربه. والمهم هو الاستفادة من أفكارهم وجعلها واقعاً حياً نعيشه ونتعايش معه. وهل يمكن أن نقلل من أفكار تنويرية غاية في الأهمية نجدها عند رفاعة الطهطاوي وأحمد لطفي السيد وقاسم أمين وسلامة موسى وطه حسين وزكي نجيب محمود في مصر، وعند مالك بن نبي في الجزائر، وعبد الرحمن الكواكبي في سوريا وغيرهم من مفكرين كبار كانت لهم رؤيتهم المستقبلية، وبصرف النظر عن اتفاقنا معهم تارة، واختلافنا معهم تارة أخرى.

(*) أستاذ الفلسفة المتفرغ بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة.

obeikandl.com

إننا نعيش الآن في عالم جديد، عالم به العديد من المتغيرات، عالم أصبح بفضل التطورات العلمية الحديثة قرية صغيرة، فلابد إذن من تغيير أفكارنا تغييراً جذرياً، لابد من ثورة فكرية تخلق إنساناً عربياً جديداً، وتوجد نظاماً ثقافياً عربياً جديداً. وإذا لم نفعل ذلك فسنكون في واد والعالم المتقدم، العالم الأوروبي بصفة خاصة في واد آخر، سنكون كمن يتحدث على موجة غير الموجة التي يستخدمها الطرف الآخر. وقد لا نجد سبيلاً إلى ذلك إلا عن طريق العولمة الثقافية. إنها تعني الانفتاح على أفكار الآخرين، وهذا ما تدعونا إليه الفلسفة والتفلسف.

لابد من التنبيه إلى الانغلاق الفكري الذي نجده عند أناس يتحدثون عما يسمونه بالغزو الثقافي. إننا إذا وجدنا عالم متقدم كالعالم الأوروبي، فهل نطلب منه أن يتأخر مثلنا، أم أنه من الضروري أن نفعل مثل ما فعل، وبحيث نتقدم مثله ؟ هل من المعقول وقد وصلنا إلى بدايات القرن الحادي والعشرين أن نقول بأنه لابد من الوقوف عند كتب التراث وبحيث نقوم بحفظها وترديد ما فيها دون وعي. هل يصح أن يقوم نفر منا بالهجوم على منجزات الحضارة الغربية في الوقت الذي لا يمكن فيه الاستغناء عن هذه المنجزات الكبرى. كيف أتفاعل مع العالم و التحدث عن نظام ثقافي عربي جديد في الوقت الذي أتناقض فيه مع نفسي، وأقع في نوع من الازدواجية حين أهاجم الحضارة الحديثة الأوروبية و أكون في نفس الوقت ساعياً إلى الاستفادة من منجزاتها.

إن نظاماً ثقافياً عربياً جديداً لا يمكن أن يتحقق إلا بالتأكيد على أهمية العلم، والقضاء على الخرافات التي تعوق من مسيرتنا العلمية. وهذا أيضاً يعد من أبرز خصائص الفلسفة والتفلسف وذلك حين تطالبنا بالابتعاد عن الخرافات. فلابد إذن من الإيمان بأن العلم يمثل مجتمع المستقبل، المجتمع العربي الذي يجب أن نجد فيه تكاملاً ثقافياً يربط بين أجزائه وبحيث تكون له أيديولوجيته الفكرية المتميزة، وحتى نستطيع أن نقول إن هذا يعد إنساناً عربياً وذاك يعد إنساناً أوروبياً وهكذا ولكن دون إيجاد نوع من التباعد بين الثقافات، فالثقافة كالعقل، تعد أعدل الأشياء قسمة بين

البشر. فلا يصح لنا إذن الاكتفاء بمجرد الشجب والاستنكار للعولمة، لان العولمة آتية لا ريب فيها.

فنحن إذن بين طريقين: طريق يمثل الظلام، الطريق المسدود، طريق شجب العولمة، وطريق يمثل العولمة، وحتى نوجد نظاماً ثقافياً عربياً جديداً فلا مفر من الطريق الذي يمثل الإيمان بالعولمة. يمثل فتح النوافذ على كل التيارات الأدبية والفكرية، ولا يوجد مبرر للحساسية من الثقافات الأخرى، إن هذه الثقافات لا يخشاها إلا ضعاف الناس. وقد انفتح العرب منذ عدة قرون وفي أيام العصر العباسي، علي الثقافات الوافدة وحدث الامتزاج أو الاقتران السعيد بين ثقافة داخلية وثقافة وافدة، ولم يقل أحد بأن هذه الثقافات الوافدة قد أدت إلى إلغاء شخصية الإنسان العربي.

واجبنا إذن عدم الاقتصار على الهجوم والشجب والاستنكار بالنسبة للعولمة الثقافية، بل لابد من الاستفادة منها، لأن فيها الخير، الخير الكثير بالنسبة لآدابنا وعلومنا وفنوننا، وإن كان أكثرهم لا يعلمون .

والتساؤل عن مدى استعداد العرب للدخول إلى ثقافة قرن جديد يعد تساؤلاً هامًا، إذ إنه يرتبط بنوع معين من التحديات التى تواجه العرب سواء الآن أو فى القرون الماضية، تحديات سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية.

فثقافة القرن الجديد تعد نوعًا من أنواع هذه التحديات وما أكثرها، ويقينى أن هذا النوع من التحدى الثقافى الذى يتبلور حول الصلة بين القيم الخلقية والتقدم العلمى، يعد على رأس هذه التحديات. إننا نستطيع الحكم على أى مجتمع من المجتمعات إذا عرفنا نوعية ثقافته وطبيعة الثقافة السائدة، بالإضافة إلى أن كل التطبيقات التكنولوجية إنما ترتبط بأفكار، ترتبط بقيم ثقافية معينة سائدة فى مجتمع دون آخر، بل إن الجوانب الاجتماعية والسياسية والحربية لا يمكن فصلها عن الجوانب الفكرية والثقافية.

نقول ردًا من جانبنا على ما يشاع فى الكثير من المجتمعات العربية الآن أنه من الضرورى الأخذ بالتطبيقات التكنولوجية التى نجدها نتاجًا

لأوروبا وأمريكا دون أن نلزم أنفسنا بالأخذ بالأفكار. إنها تعد، فيما أرى، نوعًا من المغالطة لأن الأفكار، كما تعلمنا الفلسفة، ينتج عنها تطبيقات، وإذا اقتصرنا على أخذ التطبيقات فسوف لا نسهم مستقبلاً فى دنيا المعرفة والإبداع، ودليلنا على ذلك أن التطبيقات التكنولوجية التى وجدناها فى قرون ثلاثة فقط وهى القرن الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين تعد أضعاف أضعاف ما وجدناه طوال تاريخ الإنسان، وهذه التطبيقات وجدنا أغلبها فى أمريكا وأوروبا بوجه عام نظرًا لأنها مرتبطة أساسًا كما قلت بأفكار وجدت فى هذه الدول دون غيرها.

السؤال إذن عن التحديات، التحديات التى تواجه العرب، يعد سؤالاً جوهريًا وبالغ الأهمية، نظرًا لأنه تساؤل يرتبط بالعديد من القضايا والأبعاد والمجالات. وإننا سنقتصر على دراسة جانب واحد منه، وهو الجانب المثار الآن والذى يمثل تحديًا للعرب، وهو موضوع العولمة من خلال صلتها بالنقد الفلسفى، وذلك نظرًا لأننا عادة نجد هجومًا على العولمة.

وإذا كان البحث فى هذه القضية، قضية العولمة، يرتبط كما أشرنا منذ قليل، بالعديد من القضايا والأفكار فى المجال الاقتصادى والسياسى وغيرها من مجالات، فإننا نود من جانبنا دراسة هذه القضية من خلال منظور العلاقة بين العولمة والنقد الفلسفى، إذ أننا نعتقد من جانبنا أن التركيز على الجانب الفلسفى من هذه الثقافة، ثقافة العولمة، وخاصة بالنسبة للهوية الثقافية، لابد وأن يرتبط ارتباطًا رئيسيًا بالقضية الكبرى، قضية العلاقة كما قلنا بين القيم والعلم، إنها قضية مصير، وكما قال شكسبير: أكون أو لا أكون، ذلك هو السؤال.

إننا فى عالم متغير يسوده الكثير من التيارات، عالم ليس فيه مكان للضعيف فى مجال السياسة والاقتصاد والفكر. ومن هنا فلابد أن ننفتح على هذه الثقافة، وقد أصبح العالم قرية صغيرة. إنها ثقافة العولمة، ولا يصح أن نخشى من تلك الثقافة، بل يجب أن نتعامل معها ونأخذ فى حوار مع

Obeikandl.com

قضاياها، وهى قضايا بالغة الأهمية. أما أن نتقوقع حول أنفسنا، فإن هذا لا يعد حلاً بأية صورة من الصور، وصاحب المعدة القوية لا يخشى من تناول أى نوع من أنواع الأطعمة.

إننا الآن فى عصر تتصارع فيه القوى المختلفة، وإذا لم نبادر بتحديد هويتنا الثقافية العربية من خلال الترحيب بالعولمة، ونبادر أيضًا باتخاذ المواقف من جانبنا، فلن يكون لنا وجود فى المستقبل، لن تكون لنا حياة كما ينبغى أن تكون الحياة، سنصبح فى خبر كان إن صح هذا التعبير، وسيأتى يوم علينا يتحدث فيه العالم عنا كما يتحدث عن الهنود الحمر أو كما يتحدث عن شعوب أصبحت منقرضة وزالت عن الوجود.

وغير خاف علينا أننا الآن فى حالة فقدان الوعى، فقدان الاتزان، أو مرحلة انعدام الوزن، إننا الآن فى حالة غريبة من الغيبوبة والعالم يتحرك من حولنا حركة سريعة، حركة بلا حدود، إننا فى الوقت الذى نصعد فيه إلى الهاوية، ويكون الحوار أقرب إلى إثارة الخلافات اللفظية الشكلية، نجد الدول المتقدمة، وخاصة الدول الغربية، تبادر إلى اتخاذ المواقف الفكرية البناءة، المواقف التى تصدر عن الدول الغربية المتقدمة، إلا أننا يجب أن نتعلم منهم القدرة على اتخاذ المواقف، ولن يكون ذلك بإمكاننا إلا إذا أقمنا الجسور ـ كما قلت ـ بين أبناء الدول العربية كلها، وأقمنا الحوار الفكرى بين مثقفى الأمة العربية ومثقفى بلدان العالم من مشرق الأرض إلى مغربها. إن الفلسفة لا تقوم إلا على الحوار، والحوار الخصب المستمر.

إن المثقف كما ينبغى أن يكون، هو الذى يهتم اهتمامًا بالغًا بكل قضايا التنوير والقضايا النقدية، ولا يمكن أن ننتظر حلولاً إيجابية لكل القضايا التى نبحث فيها سواء كانت قضايا فكرية أو كانت قضايا سياسية أو قضايا اجتماعية إلا من خلال المواكبة بين العلم والأخلاق.

هذا هو المثقف التنويرى فى رؤيته المستقبلية، وأقول بالرؤية المستقبلية لأننا للأسف الشديد سواء فى الماضى، الماضى القريب على الأقل، وفى

الحاضر أيضًا بكل تأكيد لا نجد رؤية واضحة، رؤية محددة المعالم، بل رؤية كلها ظلام فى ظلام، رؤية يسودها الضباب الكثيف وذلك حين نتصور وجود تضاد بين القيم الأخلاقية والتقدم العلمى.

لابد إذن أن نقضى على الفصل الموجود فى كل بلداننا العربية بين ما يسمى بالفكر الأوروبى والأمريكى والتطبيقات التكنولوجية. لابد من التنبيه إلى الانغلاق الفكرى الذى نجده عند أناس يتحدثون عما يسمونه بالغزو الفكرى.

إن هذه أفكار رئيسية نتعلمها من أسس الثقافة الفلسفية النقدية، فنحن إذن، كما سبق أن أشرت، بين طريقين: طريق يمثل الظلام، الطريق المسدود، وطريق يمثل النور والضياء، وحتى نُوجِد نظامًا ثقافيًا عربيًا جديدًا فلا مفر من الطريق الذى يمثل الإيمان بالعلم، يمثل فتح النوافذ على كل التيارات الأدبية والفكرية، ولا يوجد مبرر للحساسية من الثقافات الأخرى.

إن عالمنا العربى يملك طاقة اقتصادية هائلة، ومن واجبنا تسخير تلك الطاقة وتوجيهها بحيث تحقق نظامًا ثقافيًا فى المقام الأول، فالثقافة هى الأساس وما يمكن أن يؤدى إلى الترابط بين الشعوب العربية إنما يكون أساسًا فى نوع من الوحدة الثقافية، وليتنا نخصص جزءًا كبيرًا من دخل البترول فى إرساء دعائم الربط بين العلم والأخلاق، بحيث نتجنب تمامًا كل الأفكار الرجعية المتطرفة والفكر المغلق، وهل يستطيع أن يتنفس الإنسان إلا فى الهواء المتجدد. إن الفكر الذى لا يتخذ من الاستفادة من الآخرين أساسًا له يعد فكرًا ميتًا يصيب الإنسان بالاختناق.

ولن يصبح لنا دورنا الحيوى النشيط والرائد فى العالم الذى نعيش فيه إلا إذا حددنا دور الثقافة فى مجتمعنا العربى، وقلنا بأن المثقف وهو الكائن الاجتماعى لابد أن تكون له أفكاره المؤدية إلى سعادة وتقدم مجتمعه، ولن يؤدى إلى تحقيق تقدم مجتمعنا العربى إلا أن يكون رائدنا هو العقل وطريقنا هو طريق التنوير وخصائص ثقافتنا تتمثل فى البعد الإنسانى الفلسفى

أساسًا. عن طريق هذا كله يمكن تحقيق نظام ثقافى عربى جديد نفاخر به ونتفاخر بين دول العالم من مشرقها إلى مغربها بحيث نقول: هذه بضاعتنا الثقافية الجديدة والتى تتخطى حدود الزمان والمكان .. البضاعة الجديدة التى إذا كانت قد استعادت بعض جذورها من الماضى، إلا أنها لا تقف عنده وبحيث يكون حالها كمن يبكى على الأطلال، بل تركز على الحاضر وتنطلق منه إلى المستقبل.

إننا فى عصر ثورة المعلومات وثورة الكمبيوتر والأقمار الصناعية، فهل من المعقول أن نتحدث عن ظاهرة خيالية، هى ظاهرة الغزو الفكرى وذلك فى الوقت الذى أصبح فيه العالم قرية صغيرة؟ أعتقد أننا إذا قلنا بما يسمى الغزو الفكرى أو الثقافى فإن معنى ذلك أننا سنقضى تمامًا على أى أمل فى التقدم نحو الإبداع، فالإبداع لا يمكن أن يتحقق إلا فى جو الحرية والانفتاح على أفكار الآخرين فى دول العالم من مشرقه إلى مغربه، الإبداع يرتبط بالنور والضياء، ومعوقات الإبداع لا يمكن أن تحيا إلا فى جو القيود والظلام، وهذا يعنى أننا إذا أردنا إيجاد القيادات المبدعة فلابد أولاً من الإيمان بأن قضية التقدم العلمى تعد ألزم القضايا لنا تمامًا كحاجتنا إلى الماء والهواء، وليت الدول التى تعانى من عدم وجود قيادات مبدعة فى العديد من المجالات، ليتها تقوم بتطبيق تجارب الأمم الأوروبية التى ينتشر فيها الإبداع بحيث تكون تلك الدول صورة إلى حد كبير من الدول الأوروبية. إن منطق الحياة منطق الوجود يفرض على المتأخر أن يلحق بالمتقدم وليس من المناسب إطلاقًا أن نطلب من الدول الإبداعية المتقدمة أن تقلد المتأخر، هذا هو منطق الحياة ويقينى أننا إذا انفتحنا على تجارب الآخرين الأكثر منا تقدمًا، فإن الطريق إلى الإبداع سيكون سهلاً ميسورًا، فالإبداع لا يبدأ من فراغ، الإبداع إذا قصدنا به الأصالة بمعنى عدم التأثر بالسابقين فإننا لا نجد ذلك إطلاقًا أى لا نجد فينا أصيلاً، ومن هنا فإن المنطق يفرض علينا الانفتاح والاستفادة من تجارب الآخرين، يفرض علينا وجود موجة مشتركة بيننا وبين الأمم التى نجد فيها الكثير من الجوانب الإبداعية، وإذا لم نفعل ذلك فسيكون حالنا

كحال من يتكلم على موجة غير الموجة التى يتحدث عليها الآخرون، نقضى على أنفسنا بأنفسنا لأننا سنتنفس هواء راكدًا ساكنًا وغير متجدد، وإذا نظرنا إلى النظريات العلمية الكبرى، وإلى النظريات الفلسفية التى غيرت من فكر الإنسان فإننا سنجد أن هذه النظريات لم تحدث أثرها إلا لكونها جاءت مخالفة تمامًا لحالة السكون، حالة الركود، جاءت تعبيرًا عن المواكبة بين التقدم العلمى الحضارى والقيم الأخلاقية، ويقينى أن هذه الأفكار كلها إنما تعد أفكارًا فلسفية بالدرجة الأولى، ومن يتغافل عنها فإن موقفه يعد معبرًا عن إهمال الفلسفة والتفلسف والضرب بهما عرض الحائط.

قلنا إن للعولمة جذورها فى تاريخنا منذ قرون بعيدة، ولا خوف علينا منها، والمطلوب منا أن تكون لنا القدرة على الانتقاء والاختيار، أو كما عبر الفيلسوف ابن رشد آخر فلاسفة العرب منذ قرون حيث ذهب إلى القول بأنه ينبغى علينا أن نبحث فى ثقافتهم، الثقافة الأخرى، ثقافة اليونان، فإن كان فيها شىء يعد صوابًا قبلناه منهم وشكرناهم عليه، وإن كان فيها شىء يعد خطئًا نبهنا إلى هذا الخطأ. فهل أدرك هذا الدرس هؤلاء الذين يتكلمون كثيرًا ويفعلون قليلاً؟

ومن المؤسف له أننا نتصور كل فكرة جاءت إلينا من أوروبا وأمريكا ومن الخارج تعد فكرة فاسدة، وبحيث يتحدث أناس عن قضية الأنا والآخر وهى قضية فاسدة تماماً قضية زائفة. والمطلوب منا هو التفاعل وليس تصور النقيض والضد.

إن من يتحدثون عن موضوع الأنا والآخر شأنهم كالدون كيشوت الذى يحارب طواحين الهواء.

أقول وأكرر القول بأن مصر رائدة الثقافة فى عالمنا العربى الحديث والمعاصر، خير لها أن تتفاعل مع العولمة، فالانفتاح على الآخرين والتأثر بأقوالهم وآرائهم ومذاهبهم أفضل كثيرًا، ومن منا يرتضى لنفسه الانغلاق على نفسه؟ إن تجدد الهواء وفتح النوافذ حيث النور والضياء أفضل من إغلاق

obeikandi.com

النوافذ والعيش فى الظلام حيث حياة الكهوف والمغارات وخفافيش الظلام.

وهذا الانفتاح يعد أكثره، كما سبق أن أشرنا، خيرًا وليس شرًا كما يزعم المرددون لمقولة الغزو الثقافى وأنصار البتروفكر، أنصار الفكر الرجعى التقليدى الزائف. وإذا كان العرب فى ماضيهم قد آثروا الانفتاح على أفكار الآخرين، فهل يصح فى القرن العشرين أن ندخل القرن الجديد ونحن ننادى بعصر الكتاتيب على سبيل المثال! كلا ثم كلا. إن الإنسان المعاصر متطلباته غير متطلبات إنسان الماضى، ومشكلات الحاضر غير مشكلات الماضى، والقضايا التى نعايشها اليوم ثقافيًا تكاد تختلف جذريًا عن قضايا الأمس القريب والأمس البعيد، فهل يفهم هذا من يعتمدون على الخطابة والإنشاء حين يصدرون البيانات الهجومية اللفظية ضد العولمة الثقافية. إننى أقول دون تردد: مرحبًا بالعولمة الثقافية، إنها ليست نوعًا من أنواع الاستعمار كما يظن أنصار الظلام والتقليد، ليست رجسًا من عمل الشيطان كما يتوهم أصحاب التخلف العقلى. يكفينا من إيجابيات العولمة أنها تحارب الفكر الفاسد الساكن المغلق على نفسه وعلى أصحابه، وتدعو إلى قيم بناءة مثمرة تقوم على الاعتقاد بأن الإنسان هو جوهر الوجود، وأن سعادته لابد أن توضع فوق كل اعتبار. إنها دعوة أقول بها اليوم وأرجو أن تجد صداها فى نفوس وعقول المهتمين بالبحث فى العولمة الثقافية وقضاياها. نعم إن العولمة تعد خيرًا لأنها تفتح الطريق أمام الحوار الفلسفى الدينى المستنير، فمرحبًا بهذا النوع من الحوار البناء، الحوار الذى يقدم لنا الجديد فى مجال الفلسفة ومجال الدين، الحوار الذى يقيم الجسور والقنوات بين أبناء بنى الإنسان فى كل زمان وكل مكان.

أقول وأكرر القول بأنه لن يصبح لنا دورنا الحيوى النشيط والرائد فى العالم الذى نعيش فيه إلا إذا قبلنا العولمة الثقافية، وقلنا بأن المثقف وهو الكائن الاجتماعى لابد أن تكون أفكاره مؤدية إلى سعادة وتقدم مجتمعه، ولن يؤدى إلى تحقيق تقدم مجتمعنا العربى إلا بأن يكون رائدنا هو العولمة،

وطريقنا هو طريق الانفتاح، وخصائص ثقافتنا تتمثل فى البعد الإنسانى ودون الالتزام بزمان محدد ومكان محدد. عن طريق هذا كله يمكن تحقيق نظام ثقافى جديد، نفاخر به ونتفاخر بين دول العالم من مشرقها إلى مغربها، وبحيث نقول: هذه بضاعتنا الثقافية العولمية والتى تتخطى حدود الزمان والمكان. البضاعة العولمية التى إذا كانت قد استعادت بعض جذورها من الماضى إلا أنها لا تقف عنده وبحيث يكون حالها كمن يبكى على الأطلال، بل تركز على الحاضر وتنطلق منه إلى المستقبل.

أقول وأكرر القول بأن فكرنا العربى بوجه عام إذا لم يلتزم بالحوار الفلسفى المستنير، فإنه سيكون معبرًا عن حالات من الضياع والظلام والموت، إنه فكر يخلو من أيديولوجية معينة، ومن هنا نرى أكثره معبرًا عن مجموعة من الكلمات المتقاطعة التى قد لا يفهمها، وبالتالى لا يمكن إدراكها من جانب القراء لها.

نقول هذا ونضع فى اعتبارنا ضرورة استبعاد الشعارات البراقة الزائفة والتى زعم لنا أصحابها أنهم يقدمون لنا من خلالها مذاهب أدبية وفكرية، فى حين أن الواقع الموضوعى يكشف لنا أن تلك المذاهب فى واد والفكر فى واد آخر، إنها مذاهب لا تستند إلى أساس فكرى فلسفى أيديولوجى ولا تقوم بنقد الواقع أو التعبير عنه تعبيرًا صادقًا، ومن هنا كان فكرنا فكرًا سطحيًا، فكرًا أجوف. انظروا إلى الفكر الأوروبى على سبيل المثال وقارنوا بينه وبين ما نطلق عليه فكرًا عربيًا على سبيل التجاوز وستجدون الفرق الكبير بين الفكر الدقيق الذى يقوم على أرض صلبة وبين الفكر الهش المظلم، ونقصد به الفكر العربى فى كثير من جوانبه وأبعاده ومجالاته.

إننا نفتعل الكثير من المعارك ونطلق عليها معارك فكرية فى الوقت الذى تدور حوله هذه المعارك على قضايا زائفة خيالية، كما نتحدث عن الغول والعفريت. وأصبح من الأشياء الشائعة أن يتحدث كل واحد منا عن مشروع له حول الفكر العربى، ثم نجد هذا المشروع خيالاً فى خيال وليس له

معالم محددة، ولا يستند إلى أى نوع من أنواع الصدق.

ويقينى أنه لولا الهالات الإعلامية حول العديد من الكتب والمقالات لقلنا بصدق إننا لا نجد عندنا فكرًا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، بل نجد أكثر بضاعتنا الفكرية بضاعة فاسدة لا صلة لها بالواقع، تمامًا كمن يتحدث عن قطة سوداء فى الظلام، أو مثل دون كيشوت الذى يحارب طواحين الهواء.

فهل من المعقول أن نتحدث الآن عن نقد أدبى فى الوقت الذى لا نجد فيه حاليًا أعمالاً أدبية تستحق أن تنتقد أساسًا؟ هل من المعقول أن نتحدث عن نقد للشعر فى الوقت الذى قد لا نجد فيه حاليًا شاعرًا من الشعراء فى عالمنا العربى المعاصر، وذلك إذا التزمنا بالخصائص الدقيقة للشعر كما ينبغى أن يكون، لا نجد فيه شاعرًا يكاد أن يقترب من شعراء قدامى أمثال المتنبى وأبى العلاء المعرى وابن الرومى.

إننا نعيش الآن فى عصر يعد معبرًا عن الظلام وبئس المصير، وإذا تحدثنا عن صعود فكرى فإنه يعد للأسف الشديد صعودًا إلى الهاوية، فأين الأيديولوجية إذن؟ أين الضمير العلمى؟ أين الفكر التنويرى الحضارى؟ إننا إذا وجدنا شعوبًا متقدمة فكريًا وحضاريًا فإن الموقف منها يجب أن يتمثل فى أن نفعل ما فعلت، ولا يصح أن نقوم بالهجوم على فكرها تحت مقولة الغزو الثقافى أو الهجوم على الحضارة الوافدة، فالمتأخر، كما سبق أن قلنا، يجب أن يلحق بالمتقدم، ولا يصح أن أطلب من المتقدم تحت شعار المشاركة الوجدانية أن يتأخر مثلى. لقد أدرك ذلك مفكرون كبار ابتداء من رفاعة الطهطاوى وأحمد لطفى السيد وطه حسين وسلامة موسى وتوفيق الحكيم وزكى نجيب محمود، ولكننا للأسف الشديد لم نستفد من الدروس التى ركزوا حياتهم لغرسها فى نفوسنا، إنها دروس تعد مستفادة من النقد الفلسفى والذى يؤدى بالضرورة إلى العولمة الثقافية.

ألا يوجد دليل على تخلفنا الفكرى أبلغ من القول بأننا نجد أفكارًا تنويرية تحارب الآن، ولم تكن تحارب منذ عدة قرون وفى العصر العباسى، ألا

يعد هذا دليلاً على أننا نسير إلى الخلف ولا نتقدم إلى الأمام؟

إننا إذا أردنا لفكرنا نوعًا من التقدم فلابد أن تكون له أيديولوجية معينة، فالفكر لا يكون فكرًا إذا اقتصر على التغنى بأمجاد التراث الماضى والبكاء على الأطلال، الفكر لا يكون فكرًا عربيًا إذا كان مجرد معبر أو مقلد لأفكار الأمم الأخرى، فالعربى لا يكون غربيًا إذا اقتصر على ارتداء الزى الغربى الأوروبى، وبالمثل لا يكون الغربى عربيًا إذا تمسك بمجرد ارتداء الزى العربى.

فنحن إذا تمسكنا بمجرد الترديد فإننا سنكون أصحاب توكيلات فكرية، تمامًا كالتوكيلات التجارية، فمن يقوم ببيع سلعة أجنبية يكون دوره مجرد البيع وليس المشاركة أو الإبداع بالنسبة لهذه السلعة أو تلك.

إننا إذا أردنا أيديولوجية فلسفية لفكرنا العربى، فإن تلك الأيديولوجية لابد أن يكون شعارها تقديس العقل، لابد أن يكون محورها السعى بكل قوة وجهد نحو دراسة العولمة وقضاياها، وتكون قضيتها الكبرى تغيير الواقع بحثًا عن الأفضل وليس مجرد تفسير الواقع أو تبريره، وإذا اقتصر الفرد منا على مجرد التفسير أو التبرير فإنه يكون مقلدًا وليس مبدعًا مجددًا، سيكون فكره خاليًا من الأيديولوجية ولا أساس له، ومن المؤسف له أن يقوم أناس بمجرد التبرير أو الدفاع، أناس تحسبهم من المفكرين وما هم بمفكرين بل أشباه مفكرين، لأنهم يعبرون عن فكر ميت مزيف.

وإذا أردنا ضرب أمثلة من تاريخنا العربى القديم والحديث لكى نبين صلة العولمة بالنقد الفلسفى فإنه لابد من الإشارة إلى محاولة إخوان الصفا فى المشرق العربى، ومحاولة ابن رشد فى المغرب العربى، وبحيث ننتقل منهما إلى الإشارة إلى رفاعة الطهطاوى وطه حسين فى العصر الحديث.

لقد ذهب أخوان الصفا وخلان الوفا فى القرن الرابع الهجرى إلى ضرورة الانفتاح على كل الأفكار والتيارات فى كل دول العالم شرقًا وغربًا، وذلك كما نقول اطلبوا العلم ولو فى الصين.

دعانا أخوان الصفا إلى دراسة المبادئ المشتركة للثقافات الدينية والإنسانية، وهذا إن أدى إلى شيء فإنما يؤدى إلى أهمية النور والتنوير فى حياتنا، وبالتالى القضاء على الظلام، وبحيث يمكن القول بأن النور يرتبط بالوجود والظلام يرتبط بالعدم وبئس المصير، ألم يقل ابن سينا فى مناجاته لله تعالى: فالق ظلمة العدم بنور الوجود. إن هذا يعنى كما قلنا العلاقة بين الظلام وفقدان الحياة، والعلاقة بين النور والوجود الإنسانى، ولعل هذه الدعوة من جانب ابن سينا كانت فى جانب من جوانبها تأثرًا بإخوان الصفا.

وما يقال عن إخوان الصفا يقال عن آخر فلاسفة العرب ابن رشد، إننا نجد لديه نزعة تنويرية واضحة المعالم والأبعاد، سواء فى دعوته إلى التأويل، أو فى تأكيده على أهمية العقل والمعقول، أو فى اتجاهه النقدى البارز، أو فى دعوته إلى أهمية الانفتاح على كل الثقافات الإنسانية سواء ما كان منها داخل بلداننا العربية، أو ما يوجد فى البلدان الأوربية وخاصة اليونان. أليس هو القائل: ينبغي أن نضرب بأيدينا إلى كتبهم (فلاسفة اليونان) فإن كان فيها شيء يعد صوابًا قبلناه منهم وشكرناه لهم، وإن كان فيها شيء يعد خطئًا نبهنا إلى ذلك. إنها دعوة من جانب ابن رشد تذكرنا بما ذهب إليه الكندى أول فلاسفة المشرق العربى، وذلك حين قال: فلنبحث عن الحقيقة كحقيقة. أى بصرف النظر عن مصدرها وسواء جاءت إلينا من بلدان عربية أو نقلت إلينا من بلدان أوروبية أجنبية. كما نجد تقاربًا بين دعوة إخوان الصفا فى القرن الرابع الهجرى وفى بلدان المشرق العربى وبين دعوة ابن رشد فى القرن السادس الهجرى وفى بلاد الأندلس أى المغرب العربى. إننا نجد ذلك صريحًا فى كتبه المؤلفة ومن بينها: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال. ومناهج الأدلة فى عقائد الملة. وتهافت التهافت. الذى رد فيه على كتاب "تهافت الفلاسفة" للغزالى. أو فى كتبه التى شرح فيها كتب وأفكار أرسطو الفيلسوف اليونانى.

يمكن إذن أن نجد العديد من الجذور التنويرية فى فكرنا العربى القديم،

الجذور التى تتمثل فى أهمية فتح النوافذ على كل الأفكار والثقافات، وذلك حتى يتجدد الهواء وتتحقق لغة الحوار مع الآخر. إننا إذا قمنا بغلق النوافذ فإن ذلك سيؤدى إلى وجود الهواء الراكد الفاسد، سيؤدى إلى انقطاع الحوار بين الثقافات، وسنكون كمن يتحدث بلغة لا يفهمها الطرف الآخر، سنكون كمن يتحدث خلال موجة لا يتحدث خلالها الطرف الآخر.

وإذا انتقلنا من الجذور فى الفكر العربى القديم، إلى الفكر العربى الحديث والمعاصر، وجدنا نزعة تنويرية واضحة المعالم والأبعاد، نزعة تحاول القضاء على كل المعوقات التى تقف حجر عثرة فى سبيل التقدم والازدهار. فهل يمكن أن ننسى الدور الرائد الذى قام به رفاعة الطهطاوى فى العصر الحديث، وخاصة بعد ذهابه إلى فرنسا وعودته منها مستفيدًا من الدروس التى تلقاها فى أوروبا. لقد فوجئ بوجود عالم جديد وثقافة جديدة غير الثقافة التى درسها فى مصر، وعاد من بعثته وهو حريص على أن يلفت أنظارنا إلى هذا العالم الجديد، العالم الأوروبى، حريص على أن يبين لنا أهمية الثقافة الأوروبية، ومن هنا فقد تم على يديه هذا اللقاء السعيد بين الثقافة العربية والثقافة الأوروبية، اللقاء بين الأصالة والمعاصرة.

وإذا كنا نجد محاولات أكثر نضجًا لإحداث اللقاء بين الأصالة والمعاصرة عند أناس عاشوا بعده أمثال طه حسين وزكى نجيب محمود، إلا أننا لابد وأن نضع فى اعتبارنا أنه كان له فضل السبق فى التنبيه إلى أهمية الثقافة الجديدة، ثقافة الآخر، الثقافة الأوروبية.

ويقينى أن الدعوة التى دعانا إليها رفاعة الطهطاوى تعد إيجابية ومثمرة حتى فى وقتنا الحالى والذى يجب أن ندعو فيه إلى العولمة الثقافية، ومن خلال منظور فلسفى نقدى. إننى أعتقد من جانبى اعتقادًا لا يخالجنى فيه أدنى شك بأن ثقافة النور أو عصر التنوير لا يمكن تصورها بدون الاهتمام بالترجمة فى جميع المجالات، علمية أو أدبية أو فكرية أو فلسفية، وإذا أردنا لأنفسنا مواصلة التيار الذى ظهر فى مصر منذ ما يقرب من قرن من الزمان

كما ظهر فى بعض بلدان العالم العربى، إذا أردنا وصل ما انقطع، إذا أردنا التمسك بثقافة النور ومواصلة التنوير، فلا مفر من الاتجاه بكل قوتنا نحو الترجمة، الترجمة الدقيقة الواعية، الترجمة التى تركز على إبراز أهم القضايا التى تثار الآن فى العالم الأوروبى.

وإذا كنا قد وجدنا فى الماضى "بيت الحكمة" فأولى بنا ونحن فى الحاضر أن نقوم بإنشاء عدة مراكز للترجمة. إن من أهم مزاياها وكما أشار إلى ذلك رفاعة الطهطاوى أننا من خلالها نطلع على أفكار أمم وشعوب غيرنا، سواء اتفقنا معهم أم اختلفنا، فلابد أن نحدد أسباب الاتفاق أو الاختلاف، بأن نعرض أولاً أفكارهم وبعد ذلك يكون من حقنا ومن خلال عملية الانتقاء والاختيار أن نتفق أو نختلف، أما أن نهاجم لمجرد الهجوم، نهاجم دون التعرف على حقيقة أفكار الأمم الأخرى، فإن حالنا سيكون كحال من يسير فى مظاهرة لا لأنه يعرف الهدف من قيامها بل لأنه رأى مجموعة من الناس يسيرون فيها، فيكون بذلك مقلدًا لهم مجرد مقلد.

ولابد أن نتجه بكل ما نملك من وقت وجهد ومال نحو الترجمة، وذلك حتى لا تنقطع الجسور بيننا وبين الآخرين كما قلت، وانظروا إلى دولة كاليابان وهل وصلت إلى ما وصلت إليه إلا عن طريق التعرف على أفكار وعلوم الغرب وتطبيقاته التكنولوجية؟

وإذا قمنا بالتأكيد على أهمية الترجمة، فإننا سنتقدم خطوات نحو التنوير تمامًا كأوروبا، فأوروبا لم تتقدم إلا عن طريق السعى بكل قوتها وابتداء من عصر النهضة نحو تحقيق مبدأ التنوير، وحيث وجدنا ثقافة أوروبية جديدة تختلف فى أسسها ومنهجها عن ثقافة العصور الوسطى. إنه التنوير الذى لا طريق إليه الآن إلا بالحوار مع العولمة من خلال بعدها الفلسفى.

وإذا كنا قد أشرنا إلى أننا فى مجال ضرب أمثلة لنماذج تمثل التنوير وارتباطه بالعولمة والنقد الفلسفى فى فكرنا العربى الحديث ووقفنا عند

الطهطاوى كمفكر حديث، فإننا نود أن نشير إلى الرؤية الحضارية المستقبلية عند طه حسين، وذلك بعد أن أشرنا إلى الطهطاوى.

لقد احتل طه حسين فى تاريخنا الفكرى المعاصر مكانة كبيرة، وليس بوسع أى فرد منصف أن يتغافل عن الدور العظيم، الدور الحيوى الذى قام به مفكرنا الشامخ طه حسين، وخاصة إذا وضعنا فى الاعتبار أحوال مصر الفكرية فى الوقت الذى عاش فيه طه حسين.

لقد قدم لنا رؤية حضارية مستقبلية من خلال العديد من الكتب التى تركها لنا، ومن المعارك الفكرية التى خاضها فى شجاعة منقطعة النظير. لقد كان مدافعًا عن النور باستمرار ولم يكن من المتعاطفين مع حياة الظلام والجهل والتقليد والرجوع إلى الوراء. درس دراسة دقيقة مستقبل الثقافة فى مصر ونقد مناهج التعليم التقليدية.

لقد وقف طه حسين على قمة عصر النور فى عالمنا العربى المعاصر وقد أثار الكثير من المعارك الفكرية والتى تدور أكثرها حول قضية التنوير. لقد أثار الكثير من هذه المعارك وإننا نجد لديه حسًا نقديًا بارزًا فى كتاباته. قام بنقد مناهج التعليم وخاصة التعليم الأزهرى ورأى أنها تقف عقبة فى سبيل التنوير والانطلاق إلى الحرية والتقدم.

ولابد من القول بأن طه حسين كان متأثرًا بالفكر الغربى، وخاصة الشك الديكارتى. لقد كان هذا متوقعًا من جانبه، إنه درس فى فرنسا ورأى التقدم الأوروبى والنهضة الأوروبية، وآمن بالتنوير فى أوروبا، واعتقد أنه من الضرورى القيام بحركة تنويرية تتمثل فى الاستفادة من الفكر الأوروبى والاعتماد على المنجزات العلمية والحضارية فى أوروبا. ومن هنا يمكن اعتباره فى طليعة المفكرين المصريين المعاصرين الذى آمنوا بأنه لا مفر من فتح الأبواب والنوافذ على الحضارة الأوروبية.

لقد ترك لنا طه حسين كما قلنا العديد من الكتب، وأثار العديد من المعارك الفكرية البالغة الأهمية، وكان من خلال المناصب التى تولاها

وخاصة عمله بالجامعة كعميد لكلية الآداب وتوليه وزارة المعارف العمومية، مفكرًا مؤمنـًا بوطنه وبأهمية الفكر العقلانى العلمى المستنير، وبحيث يمكن القول من جانبنا بأننا لا نتصور مصر المعاصرة فكريًا بدون هذا العملاق، طه حسين، والذى كانت حياته مثالاً يحتذى، مثالاً للقدوة كما ينبغى أن تكون. لقد فعل معتمدًا على نفسه، ما أدى به أن يكون طه حسين: طفل كفيف أثارت آراؤه العالم العربى كله من مشرقه إلى مغربه، كفاح من النادر أن نجد له مثيلاً بين المفكرين العرب المعاصرين. ونكاد لا نجد مفكرًا عربيًا جاء بعد طه حسين إلا وتأثر بآرائه وبأفكاره وبمنهجه، وسواء اتفق معه أو اختلف حول رأى أو أكثر من الآراء التى قال بها، فكتابه "الأيام" يعد مثالاً يحتذى فى أدب السيرة الذاتية، وكتبه ومقالاته العديدة عن الشعراء العرب وخاصة أبى العلاء المعرى والمتنبى تعد غاية فى الدقة وعمق التحليل، لأنه أضاف إلى البعد الموضوعى فى دراساته بعدًا ذاتيًا نقديًا يدلنا على شخصية متميزة له، وهكذا إلى مئات الأفكار والدراسات التى تركها لنا، إنها أفكار تدعونا إلى أن نتوقف عندها طويلاً ونأخذ فى دراستها دراسة متأنية، وما أحوجنا اليوم ونحن نتحدث عن التنوير أن نتأمل فى أفكار رائدنا طه حسين والذى دخل تاريخنا الفكرى من أوسع الأبواب وأرحبها، إنه يعد رمزًا وضاءًا من رموز ثقافتنا، فواجب علينا إذن الاحتفال به فى كل وقت وحتى نحارب عن طريق أفكاره جيوش الظلام والتقليد واللامعقول، تلك الجيوش التى تعبر فى أفكارها عن تخلف عقلى وصعود إلى الهاوية.

نعم لا يخالجنى الشك لحظة واحدة فى أن مفكرنا طه حسين يقف على قمة عصر التنوير فى فكرنا العربى المعاصر، فإذا كنا نجد بعض المفكرين الذين وجدوا بعد طه حسين وكانوا من دعاة التنوير، فإن هؤلاء المفكرين قد استفادوا من طه حسين من قريب أو من بعيد، وبطريقة مباشرة تارة، وغير مباشرة تارة أخرى. إنه إذن يقف على قمة عصر التنوير فى فكرنا العربى، ولم لا؟ وهو الرائد وهو المعلم، هو الأستاذ الذى خاض العديد من المعارك التى

كان القصد منها إعلان الحرب على الظلام وتبديد أفكار التقليد وفتح كل النوافذ على أفكار النور والتنوير.

ويمكننا القول كما سبق أن أشرنا إن مفكرنا طه حسين إنما يثير مجموعة من القضايا الهامة ومن بينها قضية العلم والدين، وقضية الأصالة والمعاصرة، وقضية الدفاع عن المنجزات الغربية الأوروبية. ولا يخلو حديثه من نزعة شكية قد يكون مستفيدًا إياها من الفيلسوف الفرنسى ديكارت ومن روح عصر النهضة الأوروبية أيضًا. لقد كان طه حسين مدافعًا عن التنوير وداعيًا إليه، كان مدافعًا عن الفنون الجميلة والآداب الراقية، لقد ظهر ذلك فى كل فصل من فصول كتابه الهام "من بعيد" حتى وهو يتحدث عن سارة برنار وعن الآداب الكلاسيكية القديمة. وما أحوجنا الآن إلى الاستفادة من ثقافة النور التى دعا إليها العملاق طه حسين وهو ينتقل من حديثه عن سارة برنار إلى حديثه عن الآداب والفنون اليونانية القديمة. وكلنا نعلم دفاع طه حسين عن الآداب اليونانية واللاتينية القديمة.

هذه دروس رائعة، دروس خالدة تعد معبرة خير تعبير على عظمة الفكر التنويرى. لقد صدق طه حسين حين نادى بهذه الأفكار، صدق الرجل حين كشف عن أهمية الفكر التنويرى فى حاضرنا ومستقبلنا. لقد كان حريصًا على الكشف عن أخطاء جيوش البلاء والظلام والذين يشنون الهجوم على كل فكرة تقوم على النور وعلى كل رأى يستند إلى التنوير. إن أفكار طه حسين وغيره من مفكرين معاصرين وخاصة أحمد لطفى السيد، يمكن أن تفيدنا فى الدفاع عن العولمة الثقافية وأبعادها الفلسفية إن من واجبنا، وكما أشرنا أكثر من مرة، عدم الاقتصار على الهجوم والشجب والاستنكار بالنسبة للعولمة، بل لابد من الاستفادة منها، لأن فيها كما قلنا الخير والخير الكثير، وإن كان أكثرهم لا يعلمون.

العولمة، إذن وبصورة من صورها، قد وجدت فى فكرنا العربى منذ قرون بعيدة، وفى فكرنا العربى المعاصر، ونحن ربما لا ندرى ولا نعلم، بل إن سلوكنا

فى الحياة وعادتنا وتقاليدنا قد تفاعلت مع العولمة، ولم تكن العولمة شرًا ومنذ قرون بعيدة. إننا نرتدى فى الغالب والأعم زيًا يعد مظهرًا من مظاهر العولمة وإن كان أكثرهم لا يعلمون، وانتقل من مكان إلى مكان داخل وطنى العزيز وخارجه بوسائل مواصلات تعد نتيجة للعولمة (أزياء كالبدلة والكرافتة، ومواصلات كالسيارة والطائرة) وأقوم بتأليف كتاب أو مقالة أدفع بهما إلى المطبعة، والمطبعة جاءت إلى العرب من أوروبا .. إلى آخر هذه الأمثلة والتى تحتاج دون مبالغة إلى مجلدات ومجلدات، ولكن ماذا نفعل أمام أهل الشجب، ماذا نفعل أمام بيانات الاستنكار؟

إن العولمة لم توجد إلا لكى تبقى، إنها تمتد إلى آلاف السنوات ويقترب عمرها من عمر بنى الإنسان، ولكن ماذا نفعل أمام أناس يكتبون ولا يقرأون؟ ماذا نفعل إزاء أناس يريدون لنا أن نظل فى حالة سبات وظلام وجهل؟ ويبدو لى أن المعارضين للعولمة هم أكثر الناس استفادة منها ولكنهم يصرحون بما لا يفعلون، وأقوالهم تعد تعبيرًا عن "الكلامولوجيا" وليس عن "التكنولوجيا" كما ذكرنا زكى نجيب محمود بحق فى مقالة من مقالاته الرائعة. إنهم يهاجمون العولمة لأنهم يريدون كما قلنا أن نصبح كالهنود الحمر، أن نصبح فى خبر كان، إن صح هذا التعبير. يريدون لنا ألا نطلع على الفنون الراقية والآداب العالمية الرائعة والمذاهب الفلسفية الدقيقة، وبحيث نظل أسرى لآرائهم الهوجاء غير المفيدة تمامًا كما كان يحاول التاجر فى القرية قديمًا مع الناس ونصحهم بعدم الشراء من المدينة، إذ لو ذهبوا إلى المدينة لوجدوا أسعارًا أقل وبضاعة أجود، وبالتالى فسيتم القضاء على تجارته تجارة بقال القرية الجشع، أو كما كان يحاول عمدة القرية قديمًا أن ينصح الأهالى بعدم إدخال أبنائهم المدارس لأن الفرد المتعلم قد يحاول الخروج على العمدة، عمدة القرية، ولا يقوم بتقبيل يديه، كما سيكتشف كمًا هائلاً من الخرافات التى كانت تتردد فى القرى قديمًا. ومع ذلك ما زال البعض منا يتحدث عن أخلاق القرية!!!

نعم إن العولمة تعد فى العديد من صورها قديمة قدم البشرية، ولكن ماذا نفعل أمام أناس يكتبون ثم يكتبون وهم لا يفهمون ما يكتبون؟ إننا نريد لمجتمعنا المصرى العربى التقدم والازدهار باستمرار، وتاريخنا والحمد لله يدعو للفخر والإعجاب. لقد وجد العرب فى تاريخهم القديم أنه لابد من التفاعل الثقافى مع الأمم الأخرى وثقافات الهند والفرس واليونان، فكانت حركة الترجمة التى ظهرت أول ما ظهرت أيام خالد بن يزيد بن معاوية، ثم بلغت قمة ازدهارها فى العصر العباسى، وبحيث حدث الاقتران السعيد بين ثقافة عربية وثقافة أجنبية، فهل ضاعت الشخصية العربية حين حدث هذا الاقتران؟ كلا ثم كلا. فلولا هذا الاقتران السعيد لما وجدنا عند العرب طبًا ولا علم فلك ولا فلسفة وغيرها من المجالات والميادين التى استفادها العرب أساسًا من الانفتاح على ثقافات أمم أخرى آمنت بربها وآمنت بوطنها، وحين مرض المنصور الخليفة العباسى لم يطلب العلاج من الداخل عند حلاق الصحة مثلاً، بل طلب أن يأتى إليه طبيب من بلاد أخرى، وهو الطبيب جورجيس بن بختيشوع والذى كان يعمل وقتها رئيسًا لمستشفى جنديسابور. فهل أدرك هذا الدرس الذين يصدرون البيانات ضد العولمة الثقافية؟

لا خطر إذن على هويتنا وشخصيتنا العربية من التفاعل مع العولمة فى بعدها الثقافى على الأقل نقول هذا، ولابد من القول به، طالما أننا مازلنا نجد على أرضنا العربية من يفسد فيها، وذلك على النحو الذى نجده عند أشباه المفكرين ومتخلفى العقول، فمرحبًا بالعولمة الثقافية، ويقينى أننا نجد مواكبة بينها وبين خصائص الفكر الفلسفى والنقد الفلسفى.